نـافـذة

المحاسبة والعقل

يتردد كثيراً مصطلح المحاسبة، ومصطلح المساءلة، ويردد كثيرون مطالباتهم بمحاسبة المسيء أو المجرم أو المخطئ، ولكننا لم نشهد مثل هذه المحاسبات في يوم من الأيام، وكأن الخطأ أمر قدري، والمحاسبة عليه متروكة للقدر، وأذكر أن عدداً لا يستهان به ممن أوقدوا النيران في سورية، وفي مختلف الحقب التاريخية، سجلوا شهاداتهم وذكرياتهم، فظهروا أنقياء أبرياء لا علاقة لهم بأي خطأ من الأخطاء!

سلبوا.. قتلوا.. نهبوا.. وعندما تحدثوا كان الآخرون هم الذين فعلوا لا هُم، وغالباً ما يكون الآخرون من الراحلين المتوفين..! ولصوص وأكثر عاشوا أعماراً في الفساد، وعندما انتهت فعاليتهم، جلسوا للاستمتاع بما سلبوه وسرقوه، والأدهى من ذلك أن الناس يشفقون عليهم، ويرددون مقولة «ارحموا عزيز قوم ذلّ» فمن جعله عزيزاً؟ ولماذا عندما كان عزيزاً لم يكن رحيماً أو كريماً أو شريفاً؟ ولماذا كان يدفع الآخرين ليكونوا وضيعين أذلاء بين يديه؟ هذا الذي وصل إلى العزة التي لا يستحقها، هل اكتسب من العزة مواصفاتها؟

إن مقولة ارحموا عزيز قوم ذل غاياتها أعمق من ذلك، فهي لمن كان عزيزاً، وأراد للناس العزة، وجار عليه الزمن من كرم زائد عنده، ومن تآمر عليه، ومن أشياء أخرى كثيرة أوصلته إلى حالة من العوز والمذلة، ولا يقصد بها المسؤول أو صاحب القرار الذي عمل حياته لنفسه وإذلال الناس، وصار فجأة ومن دون مقدمات هملاً وذليلاً.. حتى عندما يتحول الظالم إلى ذليل، ويأخذ عقوبته القدرية نجد من الناس من يشفق عليه ويلوم القدر لأنه لم يرحمه؟

وما من فراغ أن عدم المحاسبة صار سياسة مجتمعية واجتماعية، واذا ما نظرنا إلى مصدر الثقافة الأول في مجتمعاتنا غير القرائية وهو الدراما، فإننا سنجد نوعين لا ثالث لهما، الأول وهو الأكثر شيوعاً، وعمل عليه أكثر صناع الدراما، وهو المحاسبة الإلهية الغيبية، فهذا انتقم الله منه بنفسه، وهذا انتقم به في أسرته وأولاده، وهذا صار عبرة، وفي كل حال من الأحوال بقي أصحاب الحقوق من الناس بلا حقوقهم! فكانوا مسرورين بالعقاب الإلهي، ومن ثم كانوا مشفقين، وتحولوا إلى مترحمين، وفي بعض الأحوال تحولوا في نظر أنفسهم إلى مذنبين لأن الله عاقب هذا الشخص وأسرته بسببهم، ولم يخطر ببال أحدهم أن يقول: «ولا تزر وازرة وزر أخرى» ولا يمكن للمشيئة أن تعاقب على ذنب ارتكبه الأهل، أو ما شابه!

أما الحل الثاني فهو التوبة، فبعد ثلاثين حلقة قد تمتد لنصف قرن يبكي هذا ويندم، ويسمع المجتمع ويصفح! ويبقى ما سرق وما سلب وما حرق في صفحة نسيان الماضي، ويعود المعتدي إلى حياته الطبيعية ويتبارى المجتمع في امتداحه، وفي الحديث عن توبته النصوح، ويمكن أن يبرم شواربه ليصبح وجيهاً أو زعيماً، وما من مرة قيل: إن ما تفعله تجاه نفسك يمكن أن تتوب عنه، أما ما تفعله تجاه الناس وحقوقهم فلا يمكن أن يتم التسامح فيه، ولابد من المحاسبة قبل أن تعود فرداً عادياً في المجتمع!

أخطاء الإنسان تصرف وفعل، وعلى المرء أن يدفع نتيجة تصرفه.

ما يقوم به المرء من أفعال حسنة يجب أن يثاب عليها، وما يقدم عليه من أفعال شائنة بحق الناس يجب أن يحاسب عليها، هذا ما تقتضيه شرعة الانسان والوجود، وأي حلول أخرى لا قيمة لها، ولا يمكن أن يتم الوثوق بها، وهي تعمل على شيطنة المجتمع وتحويله إلى مجتمع غيبي عاجز عن الفعل.

العقل يقتضي أن يعيد السارق ما سرقه، ويعاقب قبل أن يصبح فرداً عادياً، أما إن سرق ونهب واعتدى، واحتفظ بكل ما فعله لأن الله بالمرصاد وسينتقم منه، فإننا لن نبني مجتمعاً متحضراً، وإذا اعتمدنا فكرة التسامح الغبي فإننا لن نصل إلى مجتمع ننشده ويكون غداً القادم المشرق.

إسماعيل مروة

خطوة فريدة في الشرق الأوسط.. افتتاح مراكز ثقافية في السجون السورية!

اللواء محمد حسن العلي لـ«الوطن»: الهدف إعادة تأهيل السجناء ليمارسوا دوراً إيجابياً في الوطن

سارة سلامة

حياة أخرى قُدّر لهم أن يعيشوها هي مظلمة وضيقة ولا تتسع لمستوى ما يحلمون أو يفكرون أو حتى يندمون، حياة بدأت بخطيئة سواء كانت كبيرة أم صغيرة قاسية أم مهينة كتب عليهم أن يعيشوها ويدفعوا ثمن ذلك حرية وهبتهم إياها الحياة، هذا هو حال نزلاء السجون من رجال ونساء وحتى أطفال، كان لا بد من إضاءة شمعة ترسل بنورها داخل السجن وتضيء عتمة الليالي الطويلة وتشكل بارقة أمل وجسر تواصل مع العالم الخارجي، ولأن الثقافة بجميع وسائلها المرئية والمسموعة والمقروءة لها مساس مباشر في حياة الناس، اختارت وزارة الثقافة وجهتها نحو السجون ووظفت أدواتها في مجالات التوجيه والتثقيف والتعليم والوعظ والإرشاد، لما لذلك من أثر إيجابي في تغيير نمط وأفكار السجناء.

حيث افتتحت وزارة الثقافة مركزين ثقافيين بداية في سجن دمشق المركزي «عدرا» للرجال والنساء، ومعهدي ثقافة شعبية كسابقة تعتبر فريدة من نوعها في الشرق الأوسط، وتضمنت مذكرة التفاهم بين وزارتي الثقافة والداخلية إقامة دورات محو أمية رقمية، ورفد مكتبة السجن بالإصدارات الجديدة والكتب النوعية للهيئة العامة السورية للكتاب، حيث سيتم تزويد المكتبة بما يقارب الـ١٠٠٠ عنوان مجاني، إضافة إلى إقامة المعارض الفنية والمسرحيات، وعرض الإنتاجات السينمائية الجديدة داخل السجن، علماً أن خطة المراكز الثقافية المحدثة داخل السجون وأنشطتها وفعالياتها لن تختلف عن خطة وفعاليات أي مركز ثقافي في الخارج.

ترسيخ مفاهيم الحوار والمصالحة الوطنية

وعن هذا الموضوع تحدث اللواء في وزارة الداخلية محمد حسن العلي في تصريح خاص لـ«الوطن» إنه: «وتعزيزاً لنهج التشاركية وتنفيذاً لمصفوفة السياسات الثقافية في البيان الحكومي فقد تم الاتفاق بين وزارتي الداخلية والثقافة لتوظيف الحوامل الثقافية لترسيخ مفاهيم الحوار والمصالحة الوطنية وتقبل الآخر ولاسيما في السجون والمنشآت التعليمية وذلك لتعزيز روح المواطنة وتجاوز تداعيات الأزمة، فما أجملَ بأن نكبرَ معاً، ونرتقي سلمَ الحياة الذي يليق بنا، لتفردَ الطمأنينةُ جناحيها لبيادر القادم الطالع مع الطيوب لخطا الإنسان، وتغسلَ الكآبةَ التي تراكمت من أوساخ الأيام الباليات وتتدحرج النفوسُ الصغيرة تطهرُ ذاتها بذاتها».

وأضاف العلي إنه: «ليس هناك شيء مستحيل عند الإنسان السوري الكبير الذي أدمن التمرد والكفاح، ومن المستحيل أن يكون غريباً، فكل الأشجار ملكك، وكل أغاني الخيرين تناديك، وليس غريباً على سورية التي اخترعت أبجدية النصر كما اخترعت أبجدية الحرف أن ينهض (طائر الفينيق)، فيها من جديد ليرفرف عالياً بقوادم قوية من الجيش العربي السوري وقوى الأمن الداخلي والشعب العربي السوري الأصيل بهمة قائدٍ أذهل العالم بحكمته وشجاعته»

وعن الهدف من افتتاح هذه المراكز أكد العلي أنها: «تعمل على إلقاء الضوء على الجهود التي تقوم فيها وزارة الداخلية من أجل تحويل هذه السجون من دور عقابية إلى دور إصلاحية، لأن هؤلاء السجناء هم أولاً وأخيراً أبناء هذا الوطن، ونحن نعمل على تأهيل هؤلاء السجناء من أجل إعادتهم إلى حضن الوطن وجعلهم يتأطرون داخل مجتمعهم بشكل صحيح، لذلك هناك عدة خطوات نقوم بها داخل السجون أو فيما بعد السجون من خلال جمعية رعاية السجناء التي تعمل على هذه الغاية خارج السجون أما داخلها فموضوع الرعاية والتأهيل والتدريب والتثقيف والتعليم فهو منوط بوزارة الداخلية».

وعما يمكن أن تقدمه هذه الثقافة إلى حياة السجناء قال العلي إنها: «بمنزلة إشعال ضوء في آخر النفق ليعطي هؤلاء أملاً بعودتهم للحياة، ويشعروا أن الوطن لن ينساهم رغم الأخطاء التي ارتكبت من قبلهم، لأنه مهما الابن عقَّ أهله فلا بد أنه يبقى ابنهم ومن واجب الأهل الحفاظ عليه، وأن يعامل بالعاطفة الأبوية، وحقيقة هذا ما تقوم به الدولة، كما أن الأعمال التي يقوم بها السجناء من رسم وشعر وأعمال فنية ويدوية كلها تعمل على تدريبهم وتأهيلهم حتى يتماشوا مع هذا الوقت الطويل بدلاً من أن يقضى في الظلام والحقد والكراهية والابتعاد عن المجتمع، وهي الطريق الذي يمهد لهم العودة والانخراط في مجتمعهم من جديد».

> بسام ديوب: نرسخ مواجهة الأفكار الظلامية بالحكمة والإقناع وتجاوز الآثار النفسية للسجناء

تحويل السجون إلى محطات ثقافية

وأكد مدير المراكز الثقافية بوزارة الثقافة بسام ديوب أننا: «عملنا مع وزارة الداخلية على إدخال مفهوم التنمية الثقافية إلى السجن وذلك لأن المنتج الثقافي المكون من «محاضرات، سينما، مسرح، فنون» عندما يدخل إلى السجن سيساعد لاحقاً على خروج السجين بشكل أسلم نفسياً ويحسن من إقامته ويطور وعيه ويساعد على تجاوز الآثار النفسية للعقوبات السالبة للحرية، كما أن من شأنه تحويل السجون إلى محطات ثقافية وتحويل الفكر والإبداع الثقافي إلى آلية عمل للإصلاح، وإن إعادة صقل عقول النزلاء وإدراجهم في المجتمع كمواطنين صالحين يغير مسار أفكارهم ومعتقداتهم ويعزز المنظومة الفكرية والأخلاقية لديهم».

وبين ديوب أن: «أدواتنا المقترحة للسجن سترسخ مواجهة الأفكار الظلامية والجهل بالحكمة والإقناع وخصوصاً في الظروف الحالية التي يتنامى فيها الفكر المتطرف والإرهاب، ولا يمكن تحقيق أي تقدم أو ازدهار إلا من خلال مبادرات تغذي الفكر، لأن بالفكر والثقافة نستطيع إعادة برمجة عقول السجناء وتغذيتها لإعادة إدماجهم في المجتمع، والهدف الأسمى من إدخال الثقافة إلى السجن هو تحويل السجون إلى فضاءات ثقافية تصقل العقول وتوسع المدارك وتعيد التأهيل إلى مدارج المجتمع».

وفيما يتعلق برد فعل السجناء على افتتاح المراكز الثقافية قال ديوب: «الكثير من النزلاء رحبوا بهذه الخطوة، حيث بنينا العلاقة معهم وفق متطلباتهم واهتماماتهم، ونشأت حالة صادقة ووطنية وأخلاقية تتجلى بتلبية احتياجاتهم الثقافية على أن تبقى السلّة الثقافية المتنوعة عنوان العلاقة بيننا، ونكون عينهم خارج السجن في كل أطياف الثقافة ومنها إلى داخله، حيث تمنى الكثير من السجناء لو أن هذه الخطوة تمت منذ سنوات سابقة».

وعن الانتقادات التي تعرضت لها المبادرة بيَّن ديوب أننا: «في أي عمل ثقافي ننظر إلى الرأي والرأي الآخر ونحترم ذلك بحسب أن هناك آراء تتناقض مع رسالتنا الثقافية ولكن نتمنى من الآخر عدم تجاهل دورنا المهم وهناك الكثير من سخف واستهزأ برسائل مهمة إن كانت اجتماعية أو دينية أو ثقافية، ولكن ما يهمنا هو الدافع نحو نشر الثقافة، لذلك نقول لهم: سلاماً ونمضي بمشروعنا الثقافي في ميدان يتسع للجميع يكون المتلقي فيه محباً للوطن وينتصر على أعدائه بالكلمة التي هي سلاحنا ومجال عملنا».

المعارك الأدبية بين أبي فراس الحمداني وأبي الطيب المتنبي

سيف الدولة أحب شاعره وأغاظ ابن عمه فكانت الغيرة بينهما

د. رحيم هادي الشمخي

كان في المتنبي اعتداد بالنفس وشموخ جعله يتعالى على الآخرين ما دفعهم إلى الحقد عليه وتدبير المؤامرات له وتلمس العيوب والسقطات، أما أبو فراس الحمداني فهو الناشئ في ظل نعمة وفي بيت الملك وقرابته من سيف الدولة الحمداني، وشعره الرقيق وأخلاقه الرفيعة يؤهّلانه ليكون في منزلة عالية ومكانة رفيعة.

وكان سيف الدولة يعجب جداً بمحاسن أبي فراس ويميزه بالإكرام على سائر قومه، ويصحبه في غزواته، ويستخلفه في أعماله، ولهذا كان أبو فراس يرى في المتنبي رجلاً من السوقة رفعه شعره درجات فوق ما يستحق، وكان المتنبي يرى في أبي فراس أميراً ذكياً، رفعت الإمارة من شعره درجات فوق ما يستحق وأكسبته شهرة في الأدب لم يكن ليصل إليها لولا قرابته ومكانته من سيف الدولة، فكان ينطبق عليهما قول (ذي الإصبع العدواني)، (فخالني دونها بل خلتها دوني)، ولقد صحت فراسة أبي فراس الحمداني في المتنبي، منذ أنشد سيف الدولة قصيدته الميمية بعد أن أجلى الروم عن (حصن يرزويه)، وكان أبو فراس ابن عم سيف الدولة يشاركه الإعجاب حتى وصل إلى قوله:

عجبت له لما رأيت صفاته
بلا واصف والشعر تهذي طماطمه

عندها علم أبو فراس أن حرباً أدبية بجانب حرب الروم نشبت نيرانها في حلب وأن (شعراء الشام) لن يلقوا أقلامهم أمام هذا الشاعر المتحدي للمعركة الأدبية بين الشاعرين..

كان سيف الدولة إذا تأخر المتنبي عن مدحه شق ذلك عليه وأحضر من الأخير فيه، وذات يوم قال أبو فراس لسيف الدولة، إن هذا المتشدق كثير الإدلال عليك وأنت تعطيه كل سنة (ثلاثين ألف دينار) عن ثلاث قصائد ويمكن أن

المتنبي

تفرق مئتي دينار على عشرين شاعراً يأتون بما هو خير من شعره، فتأثر سيف الدولة مما سمعه من أبي فراس الحمداني، وكان المتنبي غائباً فبلغته القصة فدخل على سيف الدولة وأنشد أبياتاً فأطرق سيف الدولة ولم ينظر إليه كعادته، ثم حضر إلى مجلس سيف الدولة وأنشدها بين يديه على مرأى ومسمع من الشعراء وأبي فراس، وجعل يتظلم فيها من التقصير في حقه، يقول:

ما لي أكتم حباً قد برى جسدي
وتدعي حب سيف الدولة الأمم

إلى أن قال:

قد زرته وسيوف الهند مغمدة

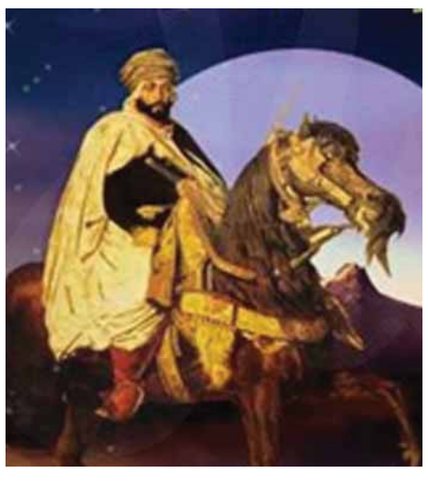

أبو فراس

وقد نظرت إليه والسيوف دم
فهمّ جماعة بالتعدي عليه في حضرة سيف الدولة لما رأوا إدلاله وإعراض سيف الدولة عنه، فلما وصل في إنشاده إلى قوله:

يا أعدل الناس إلا في معاملتي
فيك الخصام وأنت الخصم والحكمُ

قال أبو فراس قد مسخت قول (دعبل):

ولست أرجو انتصافاً منك ما ذرفت
عيني دموعي وأنت الخصم والحكم

فقال المتنبي:

أعيذها نظرات منك صادقة

سيف الدولة

أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

فعلم أبو فراس أن المتنبي يعنيه فقال: ومن أنت (يا دعي كندة) حتى تأخذ أعراض الأمير في مجلسه، فاستمر المتنبي في إنشاده ولم يرد عليه إلى أن قال:

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا
بأنني خير من تسعى به قدم
أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي
وأسمعت كلماتي من به صمم

فازداد أبو فراس غيظاً وقال: وقد سرقت هذا من (عمرو بن عروة بن العبد) حيث يقول:

أوضحت من طرق الآداب ما اشتكلت
دهراً وأظهرت إغراباً وإبداعاً
حتى فتحت بإعجاز خصصت به
للعمى والصم إبصاراً وإسماعا

وظل المتنبي يواصل إنشاده غير عابئ بما يقال حتى انتهى إلى قوله:

الخيل والليل والبيداء تعرفني
والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فقال أبو فراس: وماذا أبقيت للأمير، إذ وضعت نفسك بكل هذا؟ تمدح الأمير بما سرقته من كلام غيرك وتأخذ جوائز الأمير، أما سرقت هذا من (ابن العريان) حيث يقول:

أنا ابن الفلا والطعن والضرب والسرى
وجرد المذاكي والقنا والغواضب

فقال المتنبي:

وما انتفاع أخي الدنيا بناظره
إذا استوت عنده الأنوار والظلم

فقال أبو فراس: وهذا سرقته من قول (معقل العجلي)

إذا لم أميز بين نور وظلمة
بعيني فالعينان زور وباطل

وعند ذلك ضجر سيف الدولة الحمداني من كثرة مناقشة هذه القصيدة وكثرة دعاويه فيها فضرب المتنبي بالدواة التي بين يديه فقال المتنبي:

إن كان سَركمُ ما قال حاسدُنا
فما لجرح إذا أرضاكم ألمُ

فقال أبو فراس: وهذا أيضاً أخذتَه من قول (بشار بن برد) ولكن سيف الدولة أعجبه بيت المتنبي الأخير فلم يلتفت إلى قول (أبي فراس) ورضي عن أبي الطيب المتنبي، وأدناه إليه وقبّل رأسه وأجازه بألف دينار ثم أردفها بأخرى.

سؤال: من يستحق أن يكون زعيم الأدب العربي في ذلك العصر؟

هل الفارس الشاعر أبو فراس الحمداني، أو الحكيم الشاعر أبو الطيب المتنبي، مالئ الدنيا وشاغل الناس؟